

الخدمات المنزلية في لبنان

لمحة تاريخية

راي جريديني. "في ظلال الحياة الأسرية: نحو تاريخ الخدمة المنزلية في لبنان".
مجلة دراسات المرأة في الشرق الأوسط خريف 2009 5.3 (2009): 74-101.



على مدى القرن الماضي ، تطورت الخفايا المحيطة بالخدمات المنزلية بلبنان بصورة ملحوظة ، كما تغيرت التركيبة السكانية للأفراد التي كانت على استعداد لتقديم الخدمات المنزلية ، فقد حدث تغير متلائم في أداء أو أسلوب أصحاب العمل تجاه العاملين أو العاملات بالمنازل و الذي أصبح ملحوظاً. و لقد حدث هذا التغير في أداء كلا من العاملين بالمنازل و اصحاب العمل نتيجة للتقدم نحو عولمة مصادر العمالة المنزلية خلال و بعد الحرب الأهلية اللبنانية . كما أظهرت النساء اللبنانيات بصورة متزايدة الأمتناع عن القيام بالمهام المنزلية في أى منزل غير منازلهم .

أما في الوقت الحالي العديد من أرباب المنازل قد قرروا تعيين أو تشغيل الأجانب الغير عرب للقيام بالمهام المنزلية ، بحيث يكونوا غير متصلين بالعداءات الطائفية المعقدة التي تطورت خلال و بعد الحرب الأهلية.

لمحة موجزة عن تاريخ الأعمال المنزلية تعطى نطاق أوسع على استيعاب هذه المواقف المتطورة وتوفر رؤية كبيرة لأهمية وضمنية الحياه المنزلية اللبنانية.

وقد كتب عالم الاجتماع الألماني " جورج سيمييل " عن "الغريب" الذي يدخل إلى مجتمع ، مشيراً إلى أن الموقف الرسمي للغريب هو في نفس الوقت " الوحدة بين القرب و البعد" ، وبالمثل عندما يكون العامل المنزلي وخاصة العامل المقيم في المنزل على خطوات من فضاء العائلة ، يصبح غريبها. وكغريب في العائلة يكون العامل المنزلي في نفس الوقت قريب ولكن بعيد، مأ لوف و لكن غير معروف ، و كما وصف " سيمييل" بان الغريب مثل الخادم المنزلي يكون في وضع دائم لتنافرات لا يمكن التوفيق بينها.

قد تأتي العاملة المنزلية من طبقة أو عرق أو جنسية مختلفة وتمثل في المخيلة الجماعية للأسرة أو تعطى انطباعاً بأن تكون تابعة و مريحة أو مهددة ، على حسب تغير الأحوال السياسية والاقتصادية.

وبناءً على المقابلات التي أجريت مع أرباب العمل اللبنانيين عن العمالة المنزلية ، كانت الشروط السياسية و الاقتصادية المذكورة أعلاه محورية في تغير التوقعات المحيطة في توظيف العمالة المنزلية. تاريخياً، كانت العائلات اللبنانية تعتمد اعتماداً كبيراً على العمالة المنزلية للعناية في المنزل ، وخلال النصف الأول من القرن العشرين، وكان يضم سوق العمل للعمالة المنزلية اللبنانيين ، والسوريين، والمصريين والفلسطينيين. ومع وقوع الحرب الأهلية، توسع سوق العمالة المنزلية حيث بدأ الطلب والعرض على النساء العرب المحليات والعرب في السابق في الزوال.

خلقت بداية الحرب سلسلة من الاضطرابات المحورية للوضع الراهن : هجرة مفاجئة من المصريين؛ إجماع من جانب الفلسطينيين للعمل ، عدم رغبة اللبنانيين في توظيف السكان المحليين ، و تزايد عدم رغبة النساء اللبنانيات في القيام بالأعمال المنزلية ، بمجرد دخول الآسيويين من سري لانكا والفلبين الساحة . وفي النهاية أصبح العمل كخادمة بالنسبة للنساء اللبنانيات مهيناً (عيب)، حيث ارتبطت هذه الوظيفة في الوقت الحالي بإفترض أن المرأة لن تتزوج ابداً .

و بعد سنوات قليلة بدأت الحرب ، و بدأت وكالات التوظيف المبادرة في جلب السريلانكيين الذين أصبحوا بشكل متزايد جزءاً من مصدر العمالة الأجنبية لدول الخليج . من عام 1990 إلى عام 2006، كان سريلانكا هي مصدر البلد الرئيسية للعمالة المحلية في لبنان، تليها الفلبين وإثيوبيا .

هذا التدفق التدريجي للمهاجرين إلى توريد العمالة المنزلية حث على معايير اجتماعية جديدة محيطة بالأعمال المنزلية اللبنانية . عندما كانت المرأة المحلية أو اي امرأة عربية اخرى تقوم بتوفير العمالة كانت تنشأ في كثير من الأحيان علاقات عاطفية بين العامل و صاحب العمل ، و مثل بعض هذه الاتصالات الودية تولدت ألتزامات متبادلة من جانب أرباب العمل تجاه العمال العرب ، و كثيراً ما يتضمن ذلك علاقة زبائنية بين أفراد عائلة العامل والمشتغل.

وقد تغيرت قرب هذه العلاقات بشكل كبير جداً بمجرد أن العامل المهاجر أو الغير مستقر أصبح القاعدة و ليس الأستثناء. وقد بدأت النساء اللبنانيات في التعبير أيضاً عن تفضيلهم لتوظيف العمال المنزليين الغير مهاجرين و كانت أسبابهم المحددة عديدة ولكن في الأغلب كانت لأتباع خطة عامة الا و هي الحفاظ على السيطرة بسهولة أكبر على المشتغل. وكما ذكرت لبنانية في مقابلة :

لا يوجد لدينا ذلك القدر من الفقر في لبنان بعد الآن حتى تحصل على خادمة لبنانية، وحتى لو استطعت أن تأتي بواحدة ، .. لقد أصبحوا متطلبين ، إنها تريد أن الجلوس والدرشة معك. إنها تريد أن الجلوس وشرب القهوة أو تناول السجائر. إنها تريد أن تستريح. (الخادمة الأجنبية) سوف تعمل طوال اليوم. على الرغم من أنها تكسب أقل من عاملات النظافة اللبنانيات ، تستطيع أن تجعلها تستمر في أداء عملها ، حيث لا يمكنك أن تفعل ذلك مع اللبنانيات .

أعربت مجاوبة أخرى عن رضاها او ارتياحها عن توظيف العمالة السريلانكية لأنه، على الرغم من أن العلاقة ليست شخصية كما قد يكون مع العاملة اللبنانية ، وقالت انها تعرف ان المرأة السريلانكية ليس لديها خيارات متعددة ، " الآن هناك ضمان بأن الخادمة الخاصة بك لن تهرب لأن لديك جواز سفرها و إذا هربت فقد تكون مرة واحدة فقط ، بينما اللبنانيات كلما ذهبن لرؤية أسرهم قد يكون لديك شعور بالخوف بأنها لن تعود.

هناك نقطة ملحوظة من أنتقال العمالة المنزلية المهاجرة بأنها ساعدت على القضاء على عمل الأطفال المحليين في لبنان. قبل الحرب الأهلية، فإن عاملة المنازل العربية في كثير من الأحيان تدخل الأسرة اللبنانية و هي طفلة (من الطفولة من سن 8 أعوام). إن علاقة الخادمت الأطفال المتبنيات التي تكون وطيدة و متأصلة غالباً ما تتطور إلى علاقات مدى الحياة بجانب إلى عدد ضخم من الخبرة و تكاثر الفئات و الوضع و الجنس . الثغرة التي حدثت في ال 15 سنة من الحرب الأهلية التي انتهت هذه العلاقة.

قبل الحرب، الأطفال العاملين في المنازل في كثير من الأحيان دخلوا الأسر اللبنانية، وأصبحوا جزءاً لا يتجزأ من العائلة، ليس فقط في العمل ، و لكن يتم تعليمهم و إقامة الصداقات مع الأطفال الذين يتم خدمتهم ، ولكن نتج عن إدخال العمال المنزليين المهاجرين أيضاً في القضاء على الطفلات الخادمت. باستثناء حالات الإتجار في عمالة الأطفال في أجزاء اخرى من المنطقة ، إلا أن التجربة اللبنانية دفعت باتجاه أن المهاجرين الكبار فقط قادرون على دخول البلاد للعمل. ولقد أدى الانتقال إلى العمالة المنزلية الأجنبية إلى فرض واجبات أقل تجاه المرأة العربية الفقيرة التي كان من الممكن أن يستمر ذلك لجيلين أو أكثر .

و يبقى الطلب على المساعدة المنزلية عالياً و ربما قد يزداد في لبنان واستمر الاعتماد على العمالة المنزلية وفقاً للتقاليد المعيارية من جيل إلى جيل . المقابلات التي أجرتها هذه الدراسة تضيء الضوء على العائلات العربية من الطبقة المتوسطة واعتمادها على المساعدة المنزلية . كما تقدم المقابلات بعض ملامح البنية الطبقية بلبنان، بحيث أصبح توظيف المساعدة المنزلية بإعتباره مؤشر للوضع الاجتماعي والطبقي. ولاتدعي هذه الدراسة تناول كل شيء ولكن يمكن الفهم السريع للمعايير المتعلقة بالعمل المنزلي من إضاءة الضوء على بنية الكثير من العائلات العربية.